مختار الغوث

النقد الأدبي في صدر الإسلام والعصر الأموي "دراسة نقدية للأخبار والمأثورات"

مختار الغوث

قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طيبة – المملكة العربية السعودية.

المُلخّص

درس هذا البحث الأخبار النقدية المنسوبة إلى عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، فبيَّن أنها مصنوعة في العصر العباسي تأييدًا لرأي يراه مَن صنعها، وبيَّن ما فيها من علائم الصناعة، كضعف الرواة، وتصريحِ المؤلفين بكذب بعضها، واشتمالِها على قضايا لم تُعرَف قبل العصر العباسي، والتناقضِ، والنمطيةِ، والتوليد، على وجه يبعد معه ألا يكون بعضها محذوا على بعض. يُستثنى من ذلك ما رُوِيَ من تلحين النحاة لبعض الشعراء. كما بيَّن أن هذه الأخبار – لو فُرِضت صحتها – ليس فيها ما يدل على حالة نقدية، أو تطوُّر لما يتوقع أنَّ النقد كان عليه في الجاهلية، فإن جلَّها لا يعدو الموازنةَ بين معان توافَق عليها الشعراء، والمفاضلةَ بين شاعر وآخر أيهما كان أشعر.

الكلمات المفتاحية: الأخبار النقدية، النقد الأدبي، المأثورات, صدر الإسلام, والعصر الأموي.

مُقدّمة

نشرتُ في "حوليات الجامعة التونسية" عام ٢٠١٠م بحثا، عنوانه "هل كان للجاهلية نقد أدبي"، أثبتُ فيه أنَّ ما أُثر عن أهل الجاهلية من أخبار نقدية، كخبر النابغة وحسانَ في عكاظ، وإقواءِ النابغة بالمدينة، وحكومة أم جندب بين امرئ القيس وعلقمة، وانتقادِ طرفة للمسيب بن عَلَس، وخبرِ الشعراء التميميين – ليس فيه ما يصح، وإنما هو حكايات، صنعها أدباء عباسيون، رمزوا بها إلى آرائهم في بعض الشعر والشعراء، ثم نحلوها أهلَ الجاهلية تأييدًا لما يرون، أو توثيقًا لشعر صنعوه. ثم تبيَّن لي أن الأخبار المنسوبة إلى الإسلاميين والأمويين بحاجة إلى بحثٍ كذلك البحث، يبيِّن حقيقتها، وحقيقةَ ما بَنى عليها مؤرخو النقد العربي، فقد تكون حكاياتٍ مصنوعةً، كالحكايات الجاهلية، وما بُنِيَ عليها خيال أُلبِس ثوب الحقيقة؛ فإن الذي صنع الحكايات الجاهلية ربما صنع هذه، والأهداف التي كان يتغيَّا قد يحمل مثلُها على وضع ما نُسب إلى الإسلاميين والأمويين. هذا إلى ما رأيت في تاريخ الأدب العربي القديم، ولا سيما الأدب الأموي، من قلة التمحيص، والخفةِ إلى التعميم، واستمداد المعلومات من مصادر، لا يصح الاستمداد منها، كشعر عمر بن أبي ربيعة وأبي نواس؛ لأنهما – في نظر بعض المؤرخين – أصدق ممثلينِ للحجاز وبغداد في عصريهما[1]، مع ما في هذا من غضِّ الطرف عن مسلَّمة من مسلَّمات النقد الأدبي، هي أنْ لا تلازمَ بين الشعر والواقع. واستمد بعضهم من مصادرَ ما ينبغي التعويل عليها إلا بعد درس وتمحيص طويلين، كـ"الأغاني" الذي كان يروي ما يبرأ من عهدته، وما يقرُّ بكذبه، ويعلن ما فيه من أمارات التوليد والصناعة؛ لأن

١– حديث الأربعاء، ٢٩٩/١ وما بعدها.

البريد الالكتروني: drmokhtar3@gmail.com

ردمد: ٦٩٠٥-١٦٥٨

التاريخ لم يكن يعنيه كما يعنيه الإطراف، وجمْعُ ما اشتهر من الأخبار التي يصلح مثلها للسمر. والنقد القديم جانب من الأدب، يصدق على تاريخه ما يصدق على تاريخه، والمصادر التي يُستَمدُّ منها هي المصادر التي يُستمَد منها. وإذا كان التعويل على مصادرَ، لا يصح التعويل عليها يُضِلُّ عن الحقيقة التي من غايات البحث أن يهدي إليها، فينبغي أن يعاد النظر في التاريخ الذي استُمد من هذه المصادر، والأصول التي بُنِي عليها، لتُجْعَل حيث ينبغي أن تكون. وهذا البحث حلقة من أعمال، هذه وجهتُها، أرجو أن تكون مما يعين على ذلك.

النقد في صدر الإسلام

لم يجدَّ في صدر الإسلام ما يمكن أن يكون داعيا من دواعي تغيُّر حال النقد عما كان عليه في الجاهلية، وإنما خفَتَ صوت الشعر، واشتغل العرب بالقرآن، والجهاد في سبيل الله، طوال عصر النبي –صلى الله عليه وسلم–، وأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –، ثم شُغلوا بالنزاع السياسي في عهد عثمان وعلي. وتظهر آثار ذلك في قلة ما نُسب إلى أهل هذا العصر من الأخبار المتعلقة بالشعر، إذا قيست بما نُسب إلى أهل العصر الأموي، فما صحَّ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في الشعر أحاديثُ يسيرة، ليس فيها ما يتعلق بجانب من جوانبه الفنية، وإنما هي امتداح أو ذمٌّ مُجمَلان، أو حضٌّ على المنافحة به عن الإسلام، كقوله – عليه الصلاة والسلام –: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ"[١]، وقوله: "إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر حكمًا"[٢]، وقوله: "لأنْ يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خيرٌ من أن يمتلئ شعراً"[٣]، وقوله لحسان: "اهْجُ المشركين، فإن جبريل معك، أو: إن روح القدس معك"[٤]. وما سوى هذا إنما هو استنشاد، أو سماع، ونحو ذلك، مما يُستشهَد به على استحسانه – صلى الله عليه وسلم – للشعر، وحبِّه أن يسمعه، وثوابِه عليه[٥]. أما الأخبار المروية عن الخلفاء الراشدين، فقليلة، وليست بأحسنَ حالاً من الحكايات الجاهلية، بل فيها كلُّ ما فيها من علائم الصناعة، وإن اختلفت عنها في المضمون، من حيث كان أكثر الحكايات المنسوبة إلى الجاهليين منصبًّا على نقد أبيات بعينها، وينصبُّ أكثر الأخبار المنسوبة إلى الإسلاميين على امتداح الشعراء، وبيان مزاياهم الفنية، وتفضيل بعضهم على بعض. وسنقف عند أهم هذه الأخبار لنبين ما فيها من علامات الصناعة.

١– الخبر المروي في تفضيل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – للنابغة الذبياني، بقوله:

أتيتُكَ عاريا خَلَقًا ثيابي
على خَوْفٍ، تُظَنُّ بيَ الظنونُ
فألفيتُ الأمانةَ لم تخُنْها
كذلك كان نوحٌ لا يخونُ[٦]

أو قوله:

١– أحاديث الشعر، ٣٨.
٢– السابق، ٤٧ وما بعدها. وورد برواية أخرى ليس فيها الشعر: "إنَّ مِن البيان لَسِحْرا، أو إن بعض البيان سِحْر". (صحيح البخاري، ١٣١٥/٣).
٣– الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ١١١/٣، وأحاديث الشعر، ٦٩ وما بعدها.
٤– أحاديث الشعر، ٤٠.
٥– اقتصرت على ما ورد في كتب الصحاح، ولم ألتفت إلى الأحاديث المروية في كتب الأدب وما شاكلها؛ لأنها ليست هي المصادر التي يؤخذ منها الحديث، وما وردها، مما لم يرد في كتب الحديث لا يُعتدُّ به.
٦– طبقات فحول الشعراء، ٦٠/١.

ولســـتَ بمســـتبقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ
على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذّب؟![١]

فلا يخفى ما في البيتين الأولين من التأثر بالآية: (إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون إني لكم رسول أمين) [سورة الشعراء، ١٠٦-١٠٧]، وهو داع من دواعي الشك في صحتهما، يضمُّ إلى ما قال محمد بن سلام: "أجمع أهل العلم أن النابغة لم يقل هذا، ولم يسمعه عمر"[٢]. فالخبر – إذن – محمول على عمر، كما حُمِل البيتان على النابغة. ولا يدفع عدمَ صحته أن ابن سلام يرى أن الذي سأل عنه عمر بيت آخر، "ولكنهم غلطوا بغيره من شعر النابغة"[٣]؛ فإن رأيه لم يستند إلى حجة سوى قوله: "ذُكر لي أن عمر بن الخطاب سأل عن بيت النابغة:

حلفْتُ فلم أتركْ لنفســـك ريبـةً
ولـيـس وراءَ الله لـلـمـرء مـذهـبُ

وحريٌّ أن يكون هذا البيت أو البيت الأول"[٤]. فهو –إذن– يستمد رأيه من مصدر مجهول: "ذُكر لي"، وليس له دليل آخر. ولعله إنما قال ما قال توفيقا بين مصدره هذا، والخبر الذي كذَّب آنفا، وهي طريقة معروفة عند القدامى: لا يحبون النفي ما أمكن الإثبات والجمع والتوفيق، حتى في الأخبار التي لا يعرفون لها سندا. ومما يشكك في صحة ما "ذُكر له" أنه قال إن بني "سعد بن زيد مناة تدَّعي هذا البيت (فلست بمستبق...) لرجل من بني مالك بن سعد، يقال له شُقَّة، أنشدَناه له حُلابِس العُطارِدِي. وأخبرني خلف الأحمر أنه سمع من أعراب بني سعد لهذا الرجل"[٥]. وما أدري في أي عصر كان شُقة، إلا أنه إن كان إسلاميا، فالبيت مزيد في قصيدة النابغة، لا محالة، فإن كان جاهليا، فربما كان النابغة "استزاده في شعره، كالمثل"[٦]، غير أن هذا مستبعد، لأمرين: أولهما أن البيت لا يلائم القصيدة المنسوبة إلى النابغة، ولا سيما الأبيات التي حُشر بينها، فإن القصيدة تكذِّب ما نُسب إليه عند النعمان، والبيت يقرُّ بصحته ضمنا. الأمر الثاني أن أكثر هذه القصيدة مصنوع، فهي في رواية الأعلم الشنتمري[٧] اثنا عشر بيتا، كلها في الاعتذار، أما في رواية ابن السكيت[٨]، فثمانية وعشرون، ثلاثةَ عشرَ منها في الغزل، والوقوفِ في الديار، ولا تلائم سائرها، وقد صرَّح الأصمعي بأن ثمانية من الثلاثة عشر، واثنين مما روى الأعلم مصنوعة[٩]، وفيها – إلى ذلك – أبيات، لا تطمئن النفس إلى صحتها، لا يعنينا الكشف عنها الآن، ولا بيانُ الأدلة على صناعتها. فالقصيدة – إذن – مزيد فيها ما ليس منها، إن لم تكن مصنوعةً كلُّها، وإذا زيد فيها ما يُقطع بصناعته، فزيادة الصحيح أولى؛ لأنها أيسر، والخديعة بها أخفى، ولا سيما إذا كان الشعر المنحول لشاعر مغمور، لا يعرفه إلا المرء ونحوه، من خواصِّ الرواة، كخلَف الأحمر، ولا يُعرَف من شعره غير هذا الذي زيد في شعر غيره، والذي زاد البيتَ الصحيح

١- السابق، ١/٥٦.
٢- السابق، ١/٦٠.
٣- السابق، ١/٦٠.
٤- الموضع السابق.
٥- السابق، ١/٥٦.
٦- السابق، ١/٥٨.
٧- انظر: أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ١/٢٢٠.
٨- انظر: ديوان النابغة الذبياني، بصنعة يعقوب بن السكيت، ٧٣ وما بعدها.
٩- شرح ديوان النابغة الذبياني، الطاهر بن عاشور، ٥٤ و٥٨ (هامش).

هو الذي زاد الأبيات المصنوعة، وليس النابغةَ، كما يرى ابن سلام. وأكبر الظن أن هذه الأخبار كلها إنما حُملت على عمر توثيقا لنسبة هذه الأبيات إلى النابغة[١]. وغني عن القول أن ما نُسب إلى عمر لا يمكن أن يصح أو يصحَّ الشعر للنابغة.

٢- الخبر الذي يفضِّل فيه عمر زهيراً على الشعراء كافة، بأنه: "كان لا يعاظل بين الكلام, ولا يتَّبع وحشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"[٢]. فراوي هذا الخبر هو عيسى بن دأب[٣]، وكان عيسى "يضع الشعر وأحاديث السمر، وكلاما ينسبه إلى العرب"[٤]؛ فما يروي – إذن – غير جدير بالثقة، ولا سيما إذا كان فيه ما يدعو إلى الشك. وروى أبو الفرج الأصفهاني الخبر من طرق أخرى، ليس فيها عيسى بن دأب[٥]، غير أنها كلها مرتبطة بأبيات دالية من قصيدة، تنسب إلى زهير[٦]، لا خفاء بكونها مصنوعة، وهي، إلى ذلك، ليست مما روى الأصمعي، ولا من القصائد الخمس عشرة التي اتفق رواة البصرة والكوفة على صحتها[٧].

ولا يخفى ما بين هذا الخبر وما قبله من تناقض: هذا يجعل زهيرا أشعر الشعراء، ويجعل ذلك النابغة أشعرهم. ولو فُرِض أن تقديم النابغة محمول على استجادة أبياته المذكورة فقط، من غير أن يقتضي ذلك تقديمه بإطلاق، كما هو دأب القدامى حين يقولون: "فلان أشعر الناس، حيث يقول"، لا يعنون إلا أنه "أصاب الغاية في صميمها، ولا ينبغي القيام بما هو أفضل مما فعله بشأن هذا الموضوع"[٨]؛ فإن تفضيل زهير في هذا الخبر يناقض تفضيل امرئ القيس في خبر سنعرض له، وهو داع من دواعي الشك في صحة الخبر. وداع آخر، أنْ ليس في أخبار عمر ما يدل على أنه كان يولي الشعر من العناية ما توهم هذه الأخبار؛ فقد أنكر – مثلا – على حسان أنْ ينشد الشعر في المسجد، وقال له: "أرُغاء كرغاء البعير" في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم-؟![٩]، وروى الإمام مالك أنه "بنى رَحَبة في ناحية المسجد تسمَّى البُطَيْحاء، وقال: من كان يريد أن يلْغَط، أو ينشد شعرا، أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرَّحَبَة"[١٠]. فالشعر عنده مما تنزه عنه المساجد، كاللغط، ورفع الصوت، وإن كان مباحا، وما كان هذا ليكون رأيَه فيه ثم يُعنَى به تلك العناية التي تترتب عليها أحكام كالحكم المنسوب إليه في هذا الخبر. صحيح أن الزُّبيدي روى أنه قال: "تعلَّموا العربية؛ فإنها تشبِّب

١- من دأب الرواة أن يفعلوا هذا ونحوه، وقد بينت ذلك في كتابي (الحقيقة والخيال في الغزل العذري والغزل الصريح)، ومن أمثلته البينة في الأخبار المحمولة على عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– خبرٌ يَدَّعي أنه عاتب أبا موسى الأشعري أن وَصل الحطيئة بمال، على قصيدة مدحه بها (انظر: الأغاني، ٤٨/٢)، والقصيدة من صنع حماد الراوية (انظر: طبقات فحول الشعراء، ٤٨/١).

٢- السابق، ٦٣/١.

٣- الموضع نفسه. وروى البلاذري هذا الخبر أيضا عن ابن أبي ذئب، عن شيخ من بني هاشم، عن ابن عباس (انظر: جمل من أنساب الأشراف، ٣٠٠/١٠. لكنه غير جدير بالقبول؛ لأن فيه مجهولا.

٤- معجم الأدباء، ٢١٥٠/٥.

٥- الأغاني، ١٣٩/٩ وما بعدها.

٦- انظر: شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ١٦٠ وما بعدها.

٧- انظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ٥٣٥ و٥٣٨ وما بعدها.

٨- الشعرية العربية، ١٧، وانظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ٣١.

٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ٢٨/١، وانظر: طبقات النحويين واللغويين، ١٦.

١٠- الموطأ، ١٢١.

العقل، وتزيد في المروءة"[١]، والمراد بـ"العربية" الشعر؛ إذ لم تكن في زمانه عربية يَحض على تعلمها غير الشعر. ونقل ابن رشيق أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: "مُرْ مَنْ قِبَلَكَ بتعلُّم الشعر؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب"[٢]، وقال الجاحظ: "قال محمد بن سلام عن بعض أشياخه قال: كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر"[٣]. غير أن هذه الأقوال – إن صحت – لا تعني أنه كان عالما بالشعر، على الوجه الذي يُفهَم من الأخبار السالفة، كما أن كثرة حفظ الأمثال والشواهد لا تستوجب بصرا بالشعر، ولا معرفة بمذاهب الشعراء، تتأتى منها المفاضلة بينهم، على هذا الوجه، وقد كان أبو بكر الصديق وبنته عائشة – رضي الله عنهما – راويين للشعر، كثيري الاستشهاد به فيما يعرض لهما[٤]، ولعلهما كانا أروى له من عمر، ولا سيما أبي بكر، لعنايته بالأنساب، ولما بين الأنساب والشعر من الترابط، ولم يُرو عنهما، مع ذلك، شيء في النقد، سوى عبارتين تنسبان إلى أبي بكر، ما نرى أنهما خير مما نُسب إلى عمر، إحداهما في النابغة الذبياني: "هو أحسنهم شعرا، وأعذبهم بحرا، وأبعدهم قعرا"[٥]، والأخرى في زهير: "أشعر شعرائكم زهير"[٦]، وعبارة تنسب إلى عائشة: "الشعر فيه كلام حسن وقبيح، فخذ الحسن، واترك القبيح"[٧]، وإن لم تكن في النقد، ولا فيها ما يدل على بصر بالشعر. وكذلك من هو أروى من أبي بكر وعائشة، من الرواة والنسابين الأولين، لا يُعرف عنهم نقد، ولا مفاضلة بين الشعراء، ولا تقويم للشعر؛ إذ لا تلازم بين سعة الرواية والبصر بالشعر، فقد كان كبار الرواة في العصر العباسي، من أمثال الأخفش، وأبي عبيدة، وأبي عمرو الشيباني، لا يحسنون نقد الشعر، على كثرة ما يروون منه، وإنما يعرفون إعرابه وتفسيره وغريبه[٨].

ولعل الدافع إلى صنع هذا الخبر هو الاحتجاج لرأي أهل الحجاز في تقديم زهير على طبقته من الجاهليين، وكان الذي تولَّى صنْعَه، فيما يبدو، هو راويه عيسى بن دأب، وهو حجازي[٩]، من أهل القرن الثاني الهجري، وكان الذين يفضلون زهيرا من أهل الحجاز هم أهل القرن الثاني، كقدامة بن موسى الجمحي[١٠].

٣- الخبر الذي يدَّعي أن عمر سأل الصحابة: أي الناس أشعر؟ فاختلفوا، فدخل ابن عباس، فسأله عمر، فقال: زهير. قال: ألا تنشدنا من شعره أبياتا، نستدل بها على ذلك، فأنشده قصيدة، أولها:

هل لتذكّر أيام الصِّبا فَنَدُ
أم هل لما فاتَ مِنْ أيّامِه رَدَدُ؟[١١]

وينتهي الخبر بكلام، صانعه شيعي، فيما يبدو[١٢]. وهو خبر متهافت، ويناقض ما تدَّعي الأخبار المتقدمة من بصر عمر بالشعر، فهو هنا لا يعرف أشعر الشعراء، حتى يسأل ابن عباس، ويستنشده ما يدل على صحة

١- طبقات النحويين واللغويين، ١٣.
٢- العمدة، ٢٨/١.
٣- البيان والتبيين، ٢٤١/١.
٤- العمدة، ٣٠/١.
٥- السابق، ٩٥/١.
٦- الفاضل في اللغة والأدب، ١٤.
٧- السابق، ٢٧/١.
٨- السابق، ١٠٥/١، والبيان والتبيين، ٢٤/٤، وإعجاز القرآن، ١١٦، وأخبار أبي تمام، ١٠١، ودلائل الإعجاز، ٢٥٣.
٩- معجم الأدباء، ١٨٧/١ وما بعدها.
١٠- طبقات فحول الشعراء، ٦٣/١ (هامش).
١١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ٢٠١، وجمهرة أشعار العرب، ٥٧.
١٢- شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ٢٠١-٢٠٥.

ما يذهب إليه، وحين يتخير ابن عباس ما يدلل به يَدَعُ عيون شعر زهير إلى قصيدة ركيكة، يقع فيها من اللحن المستقبح ما لا يكون في شعر الشعراء العاديين، فضلا عن الفحول، ولا سيما الجاهليين المطبوعين، كفكِّ الإدغام، حيث لا يجوز فكه، ثلاث مرات، (مستعدِد، نَدَد، ردَد)[١]. وهي – إلى ذلك – لم ترِد في أصل الديوان الذي صنعه ثعلب، وإنما وردت ملحقة به[٢]. فهو – إذن – خبر صنعه من أراد أن يثبت صحة هذه القصيدة لزهير.

٤- الخبر الذي يروي أن عمر كان يتعجب من صحة التقسيم في أبيات، لزهير، وعبدة بن الطبيب، وأبي قيس بن الأسلت[٣]، وبلغ من إعجابه ببيت زهير أنه كان سيولِّيه القضاء بسببه، لو أدركه[٤]. ولا يخفى أن عمر لم يكن يعرف "التقسيم"، وإن كان ربما أُعجب بالبيت، وما كان ليولِّي زهيرا القضاء لإصابته في التعبير، وهو امرؤ جاهلي، لا علم له بالشرع.

٥- ما نُسب إلى عمر وعلي بن أبي طالب من أنهما فضَّلا امرأ القيس على سائر الشعراء بأنه "خَسَف لهم عين الشعر، فافتقر عن معان عورٍ أصحَّ بَصَرٍ"[٥]، وأنه "أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة"[٦]. ولا يختلف هذان القولان في جوهرهما عن "رواياتٍ ضعاف متهافتة"، في امرئ القيس، تُرفَع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بألفاظ شتى، منها: "صاحب لواء الشعراء إلى النار امرؤ القيس؛ لأنه أول من أحكم الشعر"[٧]. وبعيد أن يكون هذا من كلام عمر وعلي، أو كلامِ معاصريهما، فإن مثْله لا يكون إلا ممن درس شعر امرئ القيس، فعرف ما سَبق إليه وما سُبِق، وما اتُّبع فيه وما اتَّبَع. ولم يكن عمر وعلي وأمثالهما، من العرب الأولين، يعرفون الشعر على هذا الوجه، أو ينحون في العناية به هذا المنحى، وهو عمل لا يكون إلا من متفرِّغ، يتاح له من أسباب الدراسة والتفكير ما يتأتى منه حكم كهذا. هذا إلى أن جل شعر امرئ القيس مشكوك في صحته؛ لأن مصدره حماد الراوية[٨]. وقد ذكر ابن قتيبة[٩]، عقب إيراد القول المنسوب إلى عمر، أن الهيثم رواه عن ابن عباس، عن الشعبي، عن دَغْفل النسابة، وبعيد أيضا أن يكون لدغفل؛ فقد كان معاصرا لعمر[١٠]، ويقال في معرفته بالشعر، على هذا الوجه، ما قيل في معرفة عمر. ومعلوم أن الهيثم كان متهما بالكذب[١١]، وكان بعض المحدثين لا يرضاه "في الحديث، ولا في الأنساب، ولا في شيء"[١٢].

١- السابق، ١٩٩ و٢٠٣.
٢- السابق، ٢٠١.
٣- انظر: البيان والتبيين، ١/٢٤٠،وكتاب الصناعتين،٣٧٦.
٤- كتاب الصناعيتين، ٣٧٦.
٥- غريب الحديث، لابن قتيبة، ٧/٢، وغريب الحديث، للخطابي، ٨١/٢، والعمدة، ٩٤/١. ومعنى الخبر كما قال الخطابي: أنه غاص على معان خفية على الناس فكشفها لهم، وضرب العَوَر مثلا لغموضها وخفائها، وصحةَ البصر مثلا في ظهورها وبيانها. (غريب الحديث، ٨٢/٢).
٦- العمدة، ٤٢/١.
٧- انظر: قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ١٥.
٨- انظر: "هل كان للجاهلية نقد أدبي"، ١١٣.
٩- غريب الحديث، لابن قتيبة،، ٧/٢. ويبدو أن في الكلام الذي نقل ابن قتيبة خطأ، لعله من محقق الكتاب أو ناسخه، هو جعْله رواية الخبر عن الهيثم، عن ابن عباس، عن الشعبي عن دغفل، ولعل الصواب هو: وعن الشعبي عن دغفل. فيكون القول منسوبا إلى ابن عباس في رواية، وإلى دغفل في رواية أخرى.
١٠- انظر: معجم الأدباء، ١٢٨٨/٣ وما بعدها.
١١- السابق، ٢٧٨٩/٦، والثقات، ٣٣٧/٢.
١٢- تاريخ بغداد، ٥٠/١٤.

ويبدو أن هذين القولين (المنسوبين إلى عمر وعلي) إنما صنعهما من أدرك الخلاف في الطبقة الأولى من الجاهليين، في القرن الثاني الهجري، فوضعهما على لسانيهما توثيقا لرأيه، أما ما قبل القرن الثاني، ولا سيما عهدي عمر وعلي، فلم يكن فيه شيء من هذا الخلاف، ولا كان الناس يُعنَوْنَ بهذه المفاضلة، كما لم يكونوا يعنون بالفحولة، وتصنيف الشعراء طبقات، وإنما كان ذلك بعد أن استقر العرب في الأمصار، فوجدوا متسعا من الوقت لجمع الشعر وتأمله، فاختلفوا فيه على الوجه الذي ذكر ابن سلام في أهل الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية، وكان الخلاف فيهم بين أهل الكوفة، والبصرة، والحجاز، بل بين أناس منهم، من مخضرمي الدولتين، ولم يكن بالبصرة والكوفة من الاستقرار في عهدي عمر وعلي ما تتأتى معه دراسة الشعر ولا غيرِه من العلوم والفنون دراسة متعمقة، فقد كانتا حديثتي النشأة، وبهما من الاشتغال بالفتوح في عهد عمر، والخلاف السياسي في عهد علي ما شغلهما عن ذلك؛ فمن ثم ضاع أكثر الشعر الجاهلي[١]. هذا إلى أن فحوى القول المنسوب إلى عمر هي فحوى قول الأصمعي: "أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس، له الحظوة والسبق، وكلهم أخذوا من قوله، واتَّبعوا مذهبه"[٢]. ويبدو أن ابن سلام كان يعني قول الأصمعي هذا حين قال على لسان من قدَّم امرأ القيس: "سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء"[٣]. ولو علم ابن سلام في تقديم امرئ القيس قولا لعمر وعلي، لأورده، كما أورد ما نُسب إلى عمر في تفضيل زهير والنابغة، على عدم ثقته ببعضه.

ولا يخفى أن المنسوب إلى عمر من تقديم امرئ القيس يناقض ما نُسب إليه من تقديم النابغة وزهير، ولو صحت هذه الأخبار كلها لكان يفضِّل كلا من الثلاثة على غيره، بإطلاق، وهو تناقض مستبعد من عمر، ومن كلٍّ من يقول عن علم. وأكبر الظن أن مأتى التناقض من أنَّ هذه الأخبار صنعها قوم، اختلفوا في الشعراء الثلاثة، فصنع كلٌّ ما يوثِّق رأيه، ثم نسبه إلى من يوثَق بقوله، ويُسلَّم له، فكان هذا التناقض والاختلاف. أما ادعاء أن النقد في صدر الإسلام كان قائما "على التأثر الوقتي، وعلى الانتقال السريع دون أن يكون فيه شمول أو تفكير طويل، فالناقد يُعجب بأبيات من الشعر، فيقدِّم صاحبها، فإذا خلا القلب من سحر هذه الأبيات واختلفت المواطِن والأحوال، وتأثَّر بشعر آخر قدَّم صاحبه... ومن الجائز جدا أن يكون للناقد حكمان متعارضان، ما دام النقد يقوم على التأثر الخارجي"[٤] – فضرْب من التوفيق بين الأخبار التي يُسلَّم بصحتها قبل تمحيصها. وكان تفضيل عمر لزهير والنابغة وامرئ القيس في خلافته، كما يفهم من سياق الأخبار، أي في السنوات العشر الأخيرة من عمره، فتحوُّله عن رأيه، في أحد الشاعرين، غير وارد، إن صحَّ ما يرى بعضهم، من أن الناقد ربما كان يعجب بالشاعر في شبابه، فإذا كبر عدل عنه إلى غيره[٥].

٦– خبر يزعم أن سحيما عبد بني الحسحاس أنشده:

١– انظر: طبقات فحول الشعراء، ٢٥/١.
٢– سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، ٢٩ وما بعدها.
٣– طبقات فحول الشعراء، ٥٥/١.
٤– تاريخ النقد عند العرب، طه أحمد إبراهيم، ٣٠.
٥– السابق، ٣١.

عميرةَ ودِّع إن تجهَّزتَ غاديا
.:.
كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فقال له: "لو قدَّمت الإسلام على الشيب لأجزتك"[١]. وفي رواية ابن سلام: "لو قلت شعرك مثل هذا أعطيتك عليه"، فلما أنشد قوله:

فبات وساداني إلى عَلَجانةٍ
.:.
وحِقْفٍ تهاداه الرياح تهاديا

قال له: "ويلك! إنك مقتول"[٢]. وإن لم يكن في هذا الخبر نظرة فنية، وإنما هو تعبير عن إيثار عمر لتقديم الإسلام على الشيب لسبب ديني. ولو سمع عمر هذه القصيدة لأحسن أدب سحيم، لما فيها من الفحش، والمجاهرة بالإثم، وهتْك الأعراض، هذا إنْ جرُؤ على أن ينشدها بين يديه، أو يقولها في بلد هو فيه. ومما يؤيد عدم صحة هذا الخبر أن ابن سلام لم يسنده، ولا أسند شيئا مما ذكر من أخبار سحيم، وإنما قال: و"أَنْشدَ عمرَ"[٣]، "ذكروا عن عثمان بن عفان"[٤]، فهي إذن حكايات وجدها تُروَى، فرواها.

والذي يخفى على من يصدقون هذه الأخبار ونحوها، مما قد رأينا، أنهم لا يميزون المتفرِّغ للرواية، وهي له مهنة أو كالمهنة، تُعديه على الدراسة والتفطن إلى مذاهب الشعراء، وخصائصهم الفنية؛ فيمكن أن يقول فيهم شيئا كالذي تدَّعي هذه الأخبار، من متذوقٍ كأبي بكر وعمر وعلي وأمثالهم، من سراة العرب، الذين لا يُعنون من الشعر إلا بما فيه معان وأغراض بعينها، لا يهمهم غيرها، ولا يعنون بمقارنة ما قال شاعر بما قال آخر، ولا بالسابق إلى المعنى والمسبوق، ولا بالمخترع والمتَّبع؛ لأن هذا ليس من شأنهم، ولا في ثقافتهم وواقعهم الحضاري ما يقتضيه. ومن توسَّم هذه الأخبار، وسببَ تخيُّر صانعيها لمن نسبوها إليه، تبيَّن فيها ما يومئ إلى ذلك إيماء كالتصريح: فإن فحواها أن ما تضمَّنت من الأحكام لم يكن من دأب العرب، في ذلك العصر، أن يفطنوا إليه، إلا فئةً، هيأ تميزُها الأذهانَ لقبول ما يُنسب إليها، من غير تمحيص، ولو نُسبت إلى غيرهم ما لقيت من القبول والتسليم ما توخَّى صانعوها. وتدل هذه الأخبار، من جهة أخرى، على بُعْد ما بين العرب والنقد الأدبي الذي يتجاوز الذوق الفطري: فقد كان جل الأسئلة المنسوبة إليهم بسيطا، وعاما، والإجابة عنه مثله: مَن أشعر الناس؟ ويكون الجواب: "فلان"، أو "الذي يقول". وإذا كانت هذه الأسئلة من صنْع رواة الأخبار في القرن الثاني أو الثالث، كما نرى، فإن دلالتها على بساطة تفكيرهم النقدي بليغة بلاغةَ دلالتها على حال النقد قبلهم.

وقد نفى أحد الباحثين ما نُسب إلى عمر من أنه كان "من أكبر الذين عرفهم النقد الأدبي تذوقا للشعر، وإدراكا لأسرار جماله"[٥]، وبنى نفيه على أنه "لم يدرك.. خطر هجاء الحطيئة للزبرقان ابن بدر في القصة المعروفة"[٦]. وفي ادِّعاء أن عمر – رضي الله عنه – ناقد مبالغة، كان ابن رشيق من أقدم القائلين بها، تعويلا على مثل هذه الأخبار[٧]، ثم تابعه من وثق بصحتها من مؤرخي النقد العربي[٨]. غير أن قصته مع الحطيئة

١- الأغاني، ٣/٢٠.
٢- طبقات فحول الشعراء، ١٨٧/١.
٣- الموضع السابق.
٤- الموضع السابق.
٥- مقالات في النقد الأدبي، ٢٢٨.
٦- الموضع السابق.
٧- العمدة، ٣٣/١.
٨- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عبد العزيز عتيق، ٦٦.

والزبرقان لا يصح البناء عليها في هذا النفي، فقد قال محمد بن سلام: "وعمر يعلم من ذلك ما يعلم حسان، ولكنه أراد الحجة على الحطيئة"[١]، ونقل الجاحظ عن العائشي: "كان عمر – رحمه الله – أعلم الناس بالشعر، ولكنه كان، إذا ابتُلي بالحكم بين النجاشي والعجلاني، وبين الحطيئة والزبرقان كره أن يتعرض للشعراء، واستشهد للفريقين رجالا، مثل حسان بن ثابت وغيره، ممن تهون عليه سِبالهم، فإذا سمع كلامهم حكم بما يعلم، وكان الذي ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعا للفريقين، ويكون هو قد تخلَّص بعِرضه سليما. فلما رآه مَنْ لا علم له يسأل هذا وهذا، ظنَّ أن ذلك لجهله بما يعرف غيره"[٢]. وليس في هجاء الحطيئة معنى غامض، أو تعريض خفي، أو ما يَحتمل خلافَ ما فهم الزبرقان، وما يَفهم كل من سمع القصيدة؛ فيُدَّعى أن عمر لم يدرك ما أراد. وإن كانت معرفة عمر بما أراد الحطيئة لا تدل على أكثر من أنه يفهم العربية وأساليبها، ومذاهب القول فيها، كما يفهمها كل من يتكلم لغته عن سليقة، ولا سيما العلماء والنابهين، وإنما تظاهر عمر بإنكار أن يكون مراد الحطيئة الهجاءَ ليصلح بينه وبين الزبرقان، بحمْل البيت على معنى قد يمكن حمْله عليه، فلما لم يقبل الزبرقان "الخدعة"، وأبى إلا الإنصاف، أقام الحجة على الحطيئة بإشهاد الشعراء على أن البيت لا يمكن حمله إلا على الهجاء.

النقد في العصر الأموي

أما العصر الأموي ففيه ما يدعو إلى أن تكون الحال غيرَ الحال، فقد تحضَّر العرب عن بداوة، واستقروا بعد نُقلة، وتخففوا مما كان يشغلهم من النجعة وهموم العيش، والحرب، وجدَّت للشعر أغراض وفنون، تستدعي أن تكون للأدباء بها عناية مميزة، ولهم فيها آراء مختلفة، كالغزل في الحجاز، والنقائض في نجد والعراق. فمقتضى التحضُّر والاستقرار، والسلم والغنى، أن ينزعوا منازع، تخالف منازعهم في الجاهلية وصدر الإسلام، فيعتنوا بالعلم، وتدوين الشعر، ويكون لهم من النظر والتأمل ما لم يكن لسلفهم. ومقتضى استحداث الأغراض أن يتفاوت المشتركون فيها، وتتباين مذاهبهم، فتختلف الآراء فيهم، فيُشايَع بعضهم على بعض، ويشاد بالمزايا، ويُظهَر الفضل، ويُبيَّن القصور، وتكشف العيوب، ويُحتج للرأي بما يَنتج منه ما لم يكن في حياة العرب قبل العصر الأموي ما يقتضيه. ولعل الوراقين والأخباريين آنسوا ذلك؛ فحملوا عليهم أخبارا، قدَّروا أن تُخْفيَ ما صنعوا منها ملاءمتُه للعصر، وكان أكثر ما صنعوا المفاضلة بين الشعراء المتناقضين، والشعراء المشتركين في الغرض، والموازنة بين المعاني، يتوافى عليها الشعراء، فيُستحسن معنى، ويستهجن آخر. واتسم ما صنعوا من هذه الأخبار بالنمطية والتوليد، وأكثر ما كانت الموازنة النمطية في الأخبار المحمولة على أهل الحجاز، وكثيرا ما كانت تصنع على صورة واحدة، أيضا: ذمٌّ، يُغْلَظ فيه القول للشاعر، أو ذم يَتبعه استحسان، أو استحسان يتبعه ذم، أو ذم تتبعه موازنةُ إساءةِ شاعر بإحسان آخر في المعنى الذي توافيا عليه، كأن الناقد يقدِّم للمسيء دليلا من إحسان غيره على إساءته، على وجه يسهِّل عليه تبيُّنَها، أو يكون أبلغ في إقامة الحجة عليه. ويتسم بعضها بالحدة في النقد،

١- طبقات فحول الشعراء، ١/١١٦.

٢- البيان والتبيين، ١/٢٣٩.

والسخرية، والتنقُّص[١]، ومن أمثلة ذلك خبر، وُضع على لسان جارية سوداء، تعرَّضت لكثيِّر عزة، تنتقده وتعنِّفه، فتقول له: تبًّا لك! أتُعرَف بامرأة؟ ألست القائل:

فما روضةٌ بالحَزْن طيبةُ الثرى
يمجُّ الندى جثجاثُها وعرارُها
بأطيبَ من أَرْدانِ عزةَ مَوْهناً
وقد أَوقِدَتْ بالمَجْمَر اللّدْن نارُها

لو أُوقدت بالمجمر اللدن نار زنجية لطاب ريحها!

هلاَّ قلت كما قال سيدك، امرؤ القيس:

ألم ترَياني كلّما جئتُ زائرا
وجدتُ بها طيبا ولم تتطيَّبِ؟[٢]

ولا تخفى الإحالة في هذا الخبر: فما كان الإماء يفرغْن لرواية الشعر ولا يحسنَّ نقده والموازنة بين معانيه، ولو صح هذا وأشباهه، ما كان في العرب، في ذلك العهد، مَنْ لا يروي الشعر ويتذوقه وينقده. هذا إلى أن البيت الأخير من قصيدة يحوم حولها الشك[٣]، وإذا لم تصح القصيدة لم يصح الخبر؛ لأنه يكون مصنوعا بعد حمْل الشعر على امرئ القيس، في آخر العصر الأموي، أو أول العصر العباسي، إن كان واضعَه حمادٌ الراوية الذي ينتهي إليه جل ما ينسب إلى امرئ القيس من الشعر[٤]. والخبر – فوق ذلك – ينسب أيضا إلى امرأة من الخوارج[٥]، كما ينسب إلى غيرها[٦]. أما النمطية، فمنها نسبة كثير من حجازيِّ هذه الأخبار إلى ثلاثة: ابن أبي عتيق، وأبي السائب المخزومي، وسكينة بنت الحسين، وكونُ أكثر ما يَعرِض له الثلاثةُ شعرَ الغزل، وما تعرض له سكينة – خاصة – هو ما أساء فيه الشعراء، يليها ابن أبي عتيق، وإن كانت له استحسانات وثناء على بعض الأشعار والشعراء، وأكثر ما يعرض له أبو السائب هو ما يُحسن فيه الشعراء. وتشترك أخبار الثلاثةِ في الموازنة بين الأشعار، لكن أخبار سكينة هي أوفرها نصيبا منها. فهو – إذن – عمل تُوزَّع فيه الأدوار بين الأشخاص، عن وعي، كما يوزِّع القصاصون الأدوار على شخصياتهم.

والطريقة التي يُعرَض بها أكثرُ أخبار سكينة واحدة: فالشعراء، أو رواتهم، يفدون عليها كما يفدون على الأمراء، فتبدي رأيها في أشعارهم، ثم تبعث إليهم بالصِّلات وتصرفهم، وما تنقد من أشعارهم في النسيب كله. ولم تفطن عائشة بنت عبد الرحمن إلى أن اقتصار سكينة على النسيب من أمارات صنْع ما نُسب إليها، من هذه الأخبار، على حين عدَّته هي معبِّرا عن مذهب لها في الشعر[٧]، وهو رأي قد يكون غير دقيق: فلا تلازم بين النسيب ونبض القلب وصدق المعاناة، وأصالة الشاعر وإجادته؛ فإن الإجادة والأصالة تظهران في غير النسيب ظهورَها في النسيب. على أن سكينة – في الحق – لم تُخْصَص بنقد النسيب، وإنما شاركها فيه أبو السائب، ولم يعرض في أخباره كلها لغيره، وهو أكثر ما عرض له ابن أبي عتيق.

وإنما اختار الذين صنعوا هذه الأخبارَ شعرَ النسيب دون غيره؛ لأنه هو الذي يلائم ما أرادوا الإبانة

١- انظر: الموشح، ٢٠٣ و٢١٢ و٢١٥.
٢- الموشح، ٢٠٤.
٣- انظر: هل كان للجاهلية نقد أدبي؟، ١٢٣-١٢٧.
٤- مراتب النحويين، ١١٧.
٥- الموشح، ٢٠٥.
٦- السابق، ٢٠٣.
٧- سكينة بنت الحسين، ٢١٢.

عنه من ظرْف الحجازيين، الذي جعلوا الثلاثة رمزا له، فنسَّاك الحجاز، وسراته، رجالا ونساء، كانوا مغرمين بالنسيب، ويروون منه أكثر مما يروون من غيره، ويبدون من فقهه والإعجاب به ما ليس معهودا من غيرهم، في زمانهم، ولا يرون بذلك بأسا، بعكس فقهاء العراق الذين كانوا يوسمون بالتزمت. وقد صنع الأخباريون حكايات أصرح من هذه في الإبانة عما بين سراة أهل المصرين من التباين في الطباع والأمزجة[١]. وهو دليل آخر على أن هذه الأخبار صُنعت في العراق، ولم تنبع من الحجاز، كما يدَّعي صانعوها. صحيح أن بعض شعراء الحجاز قال كثيرا من شعره في النسيب، وفيهم من وقف شعره كله عليه، وهذا يسوِّغ أن يكون الذي يعرض له أدباء الحجاز هو ما يشيع في بلادهم؛ غير أن كثيرا من شعر الحجاز لم يكن في النسيب، ككثير من شعر نُصَيب، وكثيِّر عزة، والأحوص، وعبيد الله بن قيس الرقيات؛ فلا مسوغ لأن يُخص النسيب بالنقد دون سائر الأغراض التي لا تقل عنه، إلا ما ذكرْتُ. هذا إلى أن بعض الشعراء الذين عرَض هؤلاء لشعرهم كانوا من خارج الحجاز، كجرير، وكان غيرُ النسيب في شعره أكثر من النسيب، ولكنهم لم يعرضوا من شعره إلا للنسيب وحده. ومن القليل الذي خرج عن هذا خبر انتقاد ابن أبي عتيق بيتَ ابن قيس الرقيات في مدح عبد الله بن جعفر:

تقدَّتْ بيَ الشهباءُ نحْوَ ابنِ جعفرٍ
:::
سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها[٢]

وتُخرَج قصص أبي السائب على صورة نمطية، لا تكاد تتغير، هي الثناء على الشاعر المحسن والدعاء له؛ إذِ اهتدى إلى ما اهتدى إليه[٣]، وملازمةُ إنشاد الشعر المستحسن، والإقسام ألا ينطق بغيره سائر اليوم، وألا يأكل، اكتفاء به عن الطعام[٤]، أو يتمادى يومَه في الظهور على هيئة تعبر عن معنى البيت المستحسن[٥]. فإن استهجن الشعر دعا وقبَّحَ وتنقَّصَ، وكذَّب الشاعر فيما يدَّعي من الحب، وربما عمد إلى موازنته بما قال غيره إمعانا في توبيخه[٦]. ويُخرَج ذلك في صورة هزلية، تدل على شخصية أبي السائب، كما يريدها الأخباريون، وكما يريدون الشخصية الحجازية التي رمزوا به إليها أن تكون. أما نقد ابن أبي عتيق، وأخباره، عامة، فمشوب أكثرهما بالسخرية والتهزُّؤ بمن ينتقد، على سبيل الظرف.

وتتفق هذه الأخبار في أن جلَّها انتقاد للبيت والبيتين ونحوهما، ويقلُّ فيها ما تناول شعْرَ الشاعر كله، كالقول المنسوب إلى ابن أبي عتيق في تفضيل عمر بن أبي ربيعة على الحارث بن خالد المخزومي: "لِشعْر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب، وعُلوق بالنفس، ودَرَك للحاجة، ليست لشعر, وما عُصي الله – جل وعز – بشعر أكثر مما عصي بشعر بن أبي ربيعة، فخذ عني ما أصف لك: أشعر قريش من دقَّ معناه، ولطُف مدخله، وسهُل مخرجه، ومتُن حشوه، وتعطَّفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته"[٧]. وأكبر الظن أن هذا الكلام مصنوع على شاكلة كلام، يُنسب إلى مصعب

١- انظر: الأغاني، ١/١٥٥.
٢- السابق، ٤/١٦٠.
٣- انظر: الموشح، ٢٨٧ و٢٩٣.
٤- انظر: الأغاني، ١/١٥٣، و٧/٢٨ وما بعدها.
٥- السابق، ١٣/١١٣.
٦- الموشح، ٢٨٧.
٧- الأغاني، ١/ ٤٦.

الزبيري، في شعر عمر[١] أيضا، وأن أهل الحجاز في عصر ابن أبي عتيق لم يكونوا يعرفون هذا الوصف والتقسيم والمصطلحات، وحسبنا أنه لا يُعرَف لهذا القول نظير أو مقارِب في لغته ومضمونه، يُنسب إلى زمانه، وأن مثله يتطلب من درس الشعر ما لم يكن أهل ذلك العصر يفعلون، وإنما كان حسْب أحدهم أن يسمع الشعر فيروي ما استجاد منه، ويتمثل به حين تعنُّ مناسبته، ولا يزيد على ذلك.

وقد علَّق بعض الذين كتبوا في تاريخ النقد الأدبي على هذا القول بكلام، يتسم بالتعميم والإسراع إلى إلقاء الأحكام من غير فقه بالمحكوم فيه، على عادة الذين كتبوا عن الشعر الحجازي في العصر الأموي، في استخلاص الأحكام العامة من القول والخبر المفردين الخاصين، وجعْل منازع الفرد ونفسيته ورغباته منازعَ لمجتمعه كله، ونفسيته ورغباته، فقال: "أحسن الشعر عند ابن أبي عتيق الناقدِ، أو عند مجتمعه الذي يمثل ذوقَه وأهواءَه، إنما هو الشعر الذي يدعو إلى عصيان الله، أو الإغراء به! هكذا صار الفُسوق عن أوامر الدين وتعاليم الإسلام مقياسا جديدا من مقاييس النقد الأدبي في الحجاز، لا يتحرج ابن أبي عتيق من المجاهرة به في المجالس العامة، ومن المفاضلة بين شعر وشعر"[٢]. وهو تحريف للكلم عن مواضعه، وتقليب للحقائق، يُبنَى على عبارة مفردة، لو قُدِّرت صحتها ما جاز أن يبنى عليها حكْم كهذا، في عمومه، وهو – إلى ذلك – لم يفهمها، كما لم يكلف نفسه تمحيصها لمعرفة مبلغ صحتها، قبل أن يُرتِّب عليها من الحكم ما رتَّب. ومعنى العبارة: أن شعر عمر كان شديد التأثير، حتى إنه ليحمل على معصية الله؛ لأن مخالفة المرء ما يدين به، وإتيانَه ما يعتقد حرمته، لا تكون إلا من مؤثِّر، يملك القلب، ويسلب الإرادة، كشعر عمر، في رأي صاحب هذه العبارة، وهذا هو معنى الجملة الأولى منها أيضا: "لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب، وعلوق بالنفس، ودرك للحاجة ليست لشعر".

أما التوليد فأعني به استنساخ الخبر من الخبر، بحيث يتوافقان في جوهرهما، مهما يَبْدُ بين ظاهرهما من التباين. ومن صوره نسبة الخبر إلى أناس شتى، كالأخبار المروية في انتقاد بيت نصيب:

أهيم بدَعْدٍ ما حييتُ، فإن أَمُتْ
.:.
أَوَكِّلْ بدَعْدٍ مَنْ يهيمُ بها بَعْدي

فقد نسب انتقاده إلى سكينة بنت الحسين[٣]، وعبد الملك بن مروان[٤]، وكثير عزة[٥]. وكعبارة تَسِم شعر الحجازيين بالضعف، نُسِبت إلى جرير[٦]، والفرزدق[٧]، في شعر عمر بن أبي ربيعة، والأخطل، في شعر كثيِّر[٨]، وعبارةٍ نُسبت إلى ابن أبي عتيق في عمر بن أبي ربيعة: "م تَنْسب بها، إنما نسبتَ بنفسك"[٩]، ونسبت إلى كثيِّر[١٠]، والعبارةِ الشهيرة في شعر ذي الرمة، أنه "أبعار غزلان، ونقط عروس"، فقد نسبت إلى جرير[١١]، والفرزدق[١٢]، وأبي عمرو بن العلاء[١٣]. ومن

١- السابق، ١/ ٥١.
٢- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عبد العزيز عتيق، ١٢٣.
٣- الموشح، ٢١٣.
٤- السابق، ٢٤٧.
٥- السابق، ٢١٨.
٦- السابق، ٢٦١.
٧- السابق، ٢٦٥.
٨- طبقات فحول الشعراء، ٢/٥٤١.
٩- الموشح، ٢٦٣.
١٠- السابق، ٢١٦.
١١- السابق، ٢٢٥ و٢٢٦ و٢٢٧.
١٢- السابق، ٢٢٦.
١٣- السابق، ٢٢٦.

المستبعد أن يقول هذا أعرابي، كجرير والفرزدق، لا يجمع الشعر، ولا يدرسه دراسة يتأتى منها حكم كهذا في إيجازه وشموله ودقته، أما أبو عمرو بن العلاء فالذي يؤثَر عنه أنه لم يكن يروي الشعر الإسلامي، كشعر جرير والفرزدق، وروى الأصمعي أنه جلس إليه "ثماني حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي"[١]. وإذا صح هذا، فبعيد أن يروي شعرَ ذي الرمة، وهو بعْدَ جرير والفرزدق في الزمان، ودونهما في المنزلة والسليقة اللغوية. على أن أبا عمرو أولى بهذا القول من جرير والفرزدق؛ لما بين حاله وحالهما من التباين، فضلا عن أن أبا خليفة رواه عن ابن سلام، عن أبي عمرو[٢]، وهما ثقتان، وبصريان، كأبي عمرو، وأدرك ابن سلام آخر عصر أبي عمرو، فقد ولد عام ١٣٩هـ[٣]، وتوفي أبو عمرو عام ١٥٤هـ[٤]. وهذا أجدر بأن يجعل نسبة الخبر إلى أبي عمرو أصح من نسبته إلى جرير والفرزدق. من التوليد قصة جلوس سكينة لرواة بعض الشعراء، وقد احتكموا إليها: أيُّ أصحابهم أشعر، فانتقدتهم جميعا وقبَّحتهم[٥]، فقد وُلِّد منه، فيما يبدو، خبر آخر، يدخل فيه شعراء سكينة هؤلاء بأنفسهم على عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، فتتنقصهم جميعا[٦]. فالخبران، فيما يبدو، واحد، لم يغيَّر منه إلا الأشخاص والأبيات التي قُبِّح لها الشعراء. وتوافُق الأخبار وتشاكُلها، على هذا الوجه، ونسبتها إلى أناس، بينهم علاقة، يترتب عليها أن يُتذَكَّر أحدهم بالآخر، دليل على أنها مصنوعة، وأن الخبر مولَّد من الخبر، ومحذو عليه، وأن كل ما فعل صانعو هذه الأخبار أن أحلُّوا الاسم محل الاسم، يقترن به في الذهن، كاقتران جرير والفرزق والأخطل في النقائض، وعمر بن أبي ربيعة وكثير في النسيب، وكونهما حجازيين، وسكينة بنت الحسين وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب في النسب. ولا يعسر على المتلقين تقبُّل هذا ونحوه، لكثرة ما في التراث من الخلاف، بسبب اعتماد بعضه على الذاكرة والرواية الشفهية، وسهولة الغلط في هذه الأسماء ونحوها، وإحلال بعضها محل بعضها؛ لما بينها من التلازم في الأذهان. وهذا الصنيع أثر من ضعف الخيال وعدم القدرة على التصرف في الأخبار تصرفا يخفي استنساخها، إلا على من يجهل أصلها، أو لا يعرف منها إلا الخبر المفرد. على أن بعض هؤلاء الأشخاص ليس له وجود تاريخي، كعقيلة بنت عقيل، فليس في بني عقيل بن أبي طالب امرأة تدعى عقيلة. وقد روى الأصفهاني عن ابن بنت الماجشون، عن خاله أن عقيلة هذه هي سكينة بنت الحسين، "أكنى عنها بعقيلة"[٧].

١- العمدة، ٩١/١. غير أن أبا عمرو-مع هذا-رُوي عنه ما يدل على أنه كان على معرفة بشعر جرير والفرزدق والأخطل، فقد كان يشبه جريرا بالأعشى، والأخطل بالنابغة الذبياني، والفرزدق بزهير، كما نقل ابن سلام، (طبقات فحول الشعراء، ٦٦/١). وقد يفهم من هذا أنه كان عارفا بشعرهم راويا له، ومعرفته به تخالف عدم عنايته به، كما تخالف ما روي من أنه قال: "لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته" (العمدة، ٩١/١). وهذه الأخبار المتناقضة تمنع الباحث من أن يجزم في هذه القضية بشيء. غير أن من الممكن التوفيق بينها، إذا صحت، بأن أبا عمرو كان لا يروي شعر هؤلاء، وإنما سمعه كثيرا، فعرفه. وإدراك الشبه بين شاعر وآخر لا يحتاج إلى دراسة شعره كله وروايته، وإنما يكفي فيه أن يسمع منه ما يميز به مذهبه العام، كجودة الإيقاع، وحسن الديباجة، ومجافاة الغريب، وقلة التكلف، والإيجاز، وكثرة الاختراع. وقد يكون الأمر كذلك في شعر ذي الرمة، يقول فيه ما يقول على السماع، من غير أن يرويه.

٢- طبقات فحول الشعراء، ٥٥١/٢.

٣- السابق، ٣٥/١ (المقدمة).

٤- طبقات النحويين واللغويين، ٤٠.

٥- الموشح، ٢١٢.

٦- السابق، ٢١٥.

٧- الأغاني، ٥٥/٤.

وهو خبر يؤكد أن أخبار سكينة كلها خيالية، وإنما نسبت إليها لإيهام صحتها.

ومن صور التوليد استنساخ الخبر من الخبر لمناسبة بين الأبيات التي يُبنَيان عليها، ككونها مطالع، لا يحسن أن يستهل بها المديح، لعدم ملاءمتها لمقتضى الحال، أو كونها دون أبيات، قالها الشاعر أو غيره في ممدوح آخر، كتطيّر الخلفاء بالمطلع يُنشَد بحضرتهم، واستهجانهم المطلع، لكونه يمس عيبا في أحدهم، لم يتحاش الشاعر ما يلمّح إليه، كخبر هشام بن عبد الملك مع أبي النجم، حين أنشده:

والشمسُ قد صارتْ كعَين الأحولِ

وكان هشام أحول[١]، وخبره مع ذي الرمة لمّا أنشده:

ما بالُ عينكَ منها الماءُ يَنْسكبُ

فردَّ عليه وأسكته[٢]، أو قال له: "بل عينك"[٣]. وجعل بعضهم هذا الخبر مع عبد الملك بن مروان، "وكانت بعين عبد الملك ريشة، فهي تدمع أبدا، فتوهَّم أنه خاطبه أو عرَّض به،... فمقته وأمر بإخراجه"[٤]، وكخبرين له مع جرير[٥]، والأخطل[٦]، في مطلع قصيدتيهما في مدحه:

أتصحو؟ أم فؤادُك غيرُ صاحِ ... عشيةَ همَّ صَحبُكَ بالرَّواحِ؟

خفَّ القَطينُ، فراحوا منك أو بَكَروا ... وأزعجتهم نوًى في صرفها غِيَرُ

ومنه استهجان عبد الملك بن مروان بيتا مدحه به عبيد الله بن قيس الرقيات في بيتٍ مدح به مصعبَ ابن الزبير[٧]، وانتقادِه بيتا مدحه به كثيِّر في بيت مدح به الأعشى قيسَ بن معديكرب[٨]، وانتقادِ الوليد بن عبد الملك العجاجَ فيما قال فيه فيما قال في عمرَ بن عبيد الله بن معمر[٩]. فهذه الأخبار مستنسخ بعضها من بعض، والمناسبة بينها بيِّنة، وإن صح شيء منها في بابه فهو واحد، ثم حُذي عليه غيره. ويؤيد هذا تصريحُ الرواة بكذب بعضها، كخبر الوليد مع العجاج، فقد كذَّبه يونس بن حبيب، وابن شبَّة، بأن الوليد كان لحَّانا، لا يُحسن مثل هذا النقد[١٠]، مع أن المرزباني أورده بسندين مختلفين[١١]، وتعدُّد الطرق مظنة أن يصح يصح الخبر من أحدها، إنْ لم يصح الآخر، غير أن عدم صلاحية الوليد بن عبد الملك لما نُسب إليه تبعِّد احتمال صحة الخبر، مهما بلغت طرقه. ومما صرَّح الأخباريون بكذبه الخبر الذي أورده المرزباني عن البعيث، ينتقد فيه أشعارا للفرزدق والأخطل وجرير والأشهب بن رميلة، بحضرة الوليد بن عبد الملك، ثم عقَّب عليه بأنَّ ذِكْر الفرزدق فيه غلط، لأنه ما ورد على خليفة قبل سليمان[١٢]. وفي بعضها ما يتضمن أدلة بيِّنة على كذبه، غيرَ ما تقدم، كمخالفة حقائق التاريخ، كخبر ذي الرمة مع عبد الملك بن مروان، فقد مات عبد الملك وذو الرمة ابن تسع سنوات أو عشر[١٣].

١- الموشح، ٢٧٤.
٢- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره، (ضمن المكتبة الشاملة الإلكترونية)، ٢١.
٣- الإيضاح في علوم البلاغة، ٥٩٢ وما بعدها.
٤- العمدة، ٢٢٢/١.
٥- السابق، ٢٢٢/١.
٦- الموشح، ١٩٣.
٧- السابق، ٢٤٣ وما بعدها.
٨- طبقات فحول الشعراء، ٤٤٢/٢.
٩- الموشح، ٢٧٧.
١٠- السابق، ٢٧٧.
١١- السابق، ٢٧٥ و٢٧٦.
١٢- الموشح، ٢١٩ وما بعدها.
١٣- انظر: ذو الرمة شاعر الحب والصحراء، ١٨.

ومما يخالف حقائق التاريخ خبر الحطيئة في مجلس سعيد بن العاص بالمدينة المنورة: أنه قال لمن كان معه –وقد خاضوا في الشعر–: أشْعر العرب الذي يقول:

لا أعـدُّ الإقتـارَ عُـدْمـا ولكـنْ
فَـقْـدُ مـن قـد رُزئتُـه الإعـدامُ

(يعني أبا دواد الإيادي)، قال سعيد: فمَنْ؟ قال الذي يقول:

أفلحْ بما شـئتَ, فقد يُبلَغ بالضْـ
ـضَـعْـفِ، وقـد يُـخـدَعُ الأريـبُ

يعني عبيد بن الأبرص[١]. فالخبر على هذا الوجه غير صحيح، إن فرضت صحته على الوجه الذي روى ابن سلام، فالبيت الأخير من قصيدةٍ، شك ابن سلام في صحتها، كما شك في صحة شعر عبيد كله[٢]، وفيها –إلى ذلك – من علائم الوضع ما ليس يخفى، نحو:

مـن يَسـألِ النـاسَ يَـحْـرمـوهُ
وسـائـلُ اللهِ لا يـخـيـبُ
بـالله يُـدرَكُ كـلُّ خـيـرٍ
والـقـولُ فـي بـعضـه تـلّـغـيـبُ
واللهُ لـيـس لـه شـريـكٌ
عـلاَّمُ مـا أخْـفَـتِ الـقـلـوبُ[٣]

فهذا لا يقوله جاهلي، وعدم صحة البيت دليل على عدم صحة الخبر.

ومن هذا القبيل أخبار تعرِض لقضايا لم تكن معروفة في عصر مَنْ نُسِبت إليهم، بعضها يطابق أقوالا مأثورة عن بعض علماء العصر العباسي، كالخبر الذي زعم صانعه أن الفرزدق مرَّ على ذي الرمة وهو ينشد:

أَمَنْزِلَتيْ مَيٍّ، سـلامٌ عليكمـا!
هـلِ الأزمُن اللائي مَضَـيْنَ رواجِعُ؟!

فوقف حتى فرغ منها، فقال له ذو الرمة: "كيف ترى يا أبا فراس؟ قال: أرى خيرا! قال: فما لي لا أُعَدُّ في الفحول؟ قال: يمنعك من ذلك صفة الصحاري، وأبعار الإبل"[٤]، وفي رواية: "لتجافيك عن المدح والهجاء، واقتصارك على الرسوم والديار"[٥]؛ فتصنيف الشعراء فحولا إنما عُني به أهل القرن الثاني والثالث، وأول من خاض فيه – فيما أعلم – الأصمعي وبن سلام. وهذا الخبر إنما هو فحوى قول البَطين – وقد سئل عن ذي الرمة –: إنَّ أركان الشعر أربعة: المديح، والهجاء، والتشبيب، والفخر، وهي مجموعة لجرير والفرزدق والأخطل، وإنما يُحسنُ ذو الرمة التشبيب، فهو ربع شاعر[٦]. ومنه تلحين مَنْ لا يُتوقَّع أن يلحِّن، كما يُدَّعَى من تلحين أحد جلساء عبد العزيز بن مروان لكثيِّر في قوله:

لا أنـزُر الـنـائـلَ الـخـلـيـلَ إذا
مـا اعـتـلَّ نـزْرُ الـظّـؤرِ لـم تَـرَمِ

فقال له: "إنما هو لم ترْأم"[٧]. فنَقْلُ الهمز في هذه الكلمة وما شاكلها هو لغة أهل الحجاز، ومنهم كثيِّر، وبها قرئ القرآن الكريم، في القراءات السبع، وهي اللغة العالية. فمن غير المتوقع أن يُلحَّن فيها كثيِّر، إن فرض أن العرب في العصر الأموي، غيرَ النحاة، كانوا يفطنون إلى هذا ونحوه، ويؤاخذون به الشعراء. وإنما هذا شيء

١– الشعر والشعراء، ٣١٣/١ وما بعدها.
٢– طبقات فحول الشعراء، ١٣٨/١.
٣– جمهرة أشعار العرب، ١٧٤.
٤– طبقات فحول الشعراء، ٥٥٢/٢. وهو خبر لم يرد في أصل الكتاب، ولكن محققه أضافه من (الموشح)، وقال إن الأصفهاني أورده عن غير ابن سلام.
٥– الموشح، ٢٢٨.
٦– الموشح، ٢٢٧.
٧– السابق، ١٩٨.

صنعه المتأخرون المتأثرون بقراء الكوفة، وكانوا أكثر القراء همزا، بسبب تأثرهم بلغات أهل نجد. ثم إن ترك الهمز، إن فرض أنه ليس هو اللغة العالية، ليس مما يعاب به الشعراء، كما قال ابن قتيبة: "وأما ترك الهمز، فكثير واسع، لا عيب فيه على الشاعر، والذي لا يجوز أن يهمز غير المهموز"(١).

وفي خبر أورده المرزباني أن عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب قالت لكثير: "أما أنت يا كثير، فألأم العرب عهدا في قولك:

أُرِيدُ لأنسى ذكرَها فكأنما
تَمثَّلُ لي ليلى بكلِّ سبيلِ"(٢)

فهذا قول قال ابن سلام إنه سمعه من أحد معاصريه: يطعن به على كثيِّر، "يقول: ما له يريد ينسى ذكرها؟"(٣). ومثله الخبر المروي عن ابن أبي عتيق في انتقاد عمر بن أبي ربيعة في قوله:

بينما ينعتنَني أبصرنَني
دونَ قِيدِ المِيل يَعْدُو بي الأغرّْ...

فقال له: "أنت لم تنْسِب بها، إنما نسَبْتَ بنفسك، وإنما كان ينبغي أن تقول: قلت لها، فقالت لي، فوضعت خدِّي، فوطئتْ عليه"(٤)، فإن شطره الأول هو فحوى قول المفضَّل بن سلمة في عمر بن أبي ربيعة: "لم يرِقَّ كما رَقَّ الشعراء؛ لأنه ما شكا قطُّ من حبيب هجرا، ولا تألَّمَ لصدٍّ، وأكثر أوصافه لنفسه وتشبيبه بها، وأن أحبابه يجِدُون به أكثر مما يَجِد بهم، ويتحسَّرون عليه أكثر مما يتحسر عليهم"(٥).

والشطر الثاني من الخبر ليس مما يُتوقَّع أن يقوله ابن أبي عتيق، ولا أحد من أهل القرن الأول الهجري؛ فلم تكن علاقة الرجال بالنساء على ذلك الوجه، وإنما عُرِف امتهان الرجال أنفسَهم لمن يحبون في العصور التالية، في خارج الجزيرة، غالبا، وربما كان ذلك بتأثير من الشعوب غير العربية، أما شعر أهل الجزيرة في الجاهلية وما قبل القرن الثاني، فكان ربما نطق بشيء من الضراعة والاستعطاف(٦)، ولكنه لا يبلغ امتهان النفس للمحبوب، بل ربما وُجِد فيه تكافؤ بين الرجل ومحبوبته، كقول لبيد:

فاقطعْ لُبانةَ من تعرَّضَ وصلُه
ولشرُّ واصلِ خُلّةٍ صَرَّامُها(٧)

وقولِ المثقب العبدي:

فإني لو تخالفني شمالي
خلافَكِ ما وصلتُ بها يميني
إذن لقطعتُها ولقلتُ: بِيني،
كذلك أجْتوي من يجتويني(٨)

وقولِ عمر بن أبي ربيعة لصاحبته – على ما يَذْكُر من تعلُّقه النساء –:

لن تقودينيَ بالهجر ولنْ
تدْركِي وُدِّي بِجَدٍّ واطِّراحْ(٩)

وقول أبو صخر الهذلي:

هجرْتكِ حتى قيل: ما يعرفُ
وزرتُكِ، حتى قيل: ليس له صبرُ(١٠)

مع أنه يقول قبل هذا:

ويمنعني من بعضِ إنكارِ ظلمِها
إذا ظلمتْ يومًا، وإنْ كانَ لي عُذْرُ

١- الشعر والشعراء، ١/١٠٢.
٢- السابق، ٢١٤.
٣- طبقات فحول الشعراء، ٢/٥٤٦.
٤- الموشح، ٢٦٣.
٥- السابق، ٢٦٤.

٦- انظر: الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى، ١/٢٠٠.
٧- شرح المعلقات السبع، ٩٨.
٨- المفضليات، ٢٨٨.
٩- ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص: ٨٧.
١٠- خزانة الأدب، ٣/٢٥٩.

مخافةُ أني قد علمتُ لئن بدا
.:.
ليَ الهجرُ منها ما على هجرِها صبْرُ
وأنيَ لا أدري إذا النفسُ أشرفتْ
.:.
على هجرِها ما يَبْلغنَّ بيَ الهَجْرُ[1]

وإذا كانت هذه ثقافةَ ابن أبي عتيق، التي لا يُعرَف من تاريخه ما يغيِّره عنها، فبعيد أن يصحَّ عنه ما يخالفها. ومن هذا القبيل خبر يقول إن نصيبا والكميت وذا الرمة اجتمعوا، فأنشد الكميت أبياتا له، أخذ عليه نصيب بعض معانيها، كقوله: "تكامل فيها الدَّلُّ والشَّنَب"، وقوله: "يجاوبن بالفلوات الوِبارا"، وقوله: "أراجيز أسلم تهجو غفارا"، فأخذ عليه أن لا علاقة بين الدَّلِّ والشنب، تسوِّغ جمعهما على هذا الوجه، وأن الوبار لا تسكن الفلوات، وأسلم لم تهج غفارا قط[2]. فهذا نقد الأصمعي، أو شيء يصنع على شاكلته، وليس نقدا أمويا، فلم يكن نصيب مؤرِّخا، ولا نسَّابة، واجتماعه هو والكميت مستبعد؛ فنصيب من أهل وَدَّان[3]، والكميت من أهل الكوفة[4]، وذو الرمة نجدي من أهل الدهناء، ولكن الوضاعين من الأخباريين يجمعون سهيلا والثريا!

هذا إلى أن بعض هذه الأخبار يساق على وجه يُستبعد معه أن يكون صحيحا، كالخبر الذي يدعي أن عبد الملك بن مروان قال للراعي النميري، لما أنشده قوله:

أخليفةَ الرحمنِ، إنا معشرٌ
.:.
حُنَفاءُ نسجدُ بكرةً وأصيلا
عربٌ نرى لله في أموالنا
.:.
حقَّ الزكاة مُنزَّلاً تنزيلا

"ليس هذا شعرا، هذا شرح إسلام، وقراءة آية"[5]، فمن غير المتوقع أن يقول عبد الملك هذا للراعي، والمقام مقام شكوى وتظلُّم، وليس مقام مديح، وإنما هذا شيء ينتقد به المتأخرون البيتين، ثم يضعونه على لسان عبد الملك. وقد خلا من أكثر هذه الأخبار "طبقات فحول الشعراء"، وابن سلام أوثق وأقدم من المرزباني والأصفهاني ومن ينقلان عنه، مع أن كتابه لم يخْلُ أيضا من الأخبار المصنوعة، وهذا دليل آخر على ما نرى من عدم صحة هذه الأخبار، وأنها ربما صُنعت بعد ابن سلاَّم، إن لم يكن تنكَّب ذكرها عمدا؛ لأنه لا يثق بها. وليس في وسعنا أن نأتي على الحكايات المنسوبة إلى أهل العصر الأموي كلها، لكثرتها، وإنما حسْبنا أن نثبت ما في أشهرها من علائم الصناعة، ليَثْبُتَ أن سائرها غير جدير بالثقة، وغير جدير بأن يُبنَى عليه حكم علمي في تاريخ النقد والأدب، في العصرين الإسلامي والأموي؛ لما رأينا في أكثرها من النمطية والتوليد اللذين يجعلان ما يقال في بعضها يصدق على سائرها.

نستثني من هذه الأخبار بعضَ ما رُوي من بدايات النقد اللغوي، فإنه يختلف عن كل ما تقدم، إذ يُفرَض أنه حدث في مجالس عامة، يغشاها العلماء وطلاب العلم، وذلك من دواعي حفظه وصيانته حتى يدوَّن، فضلاً عن أن من رُوي عنهم كانوا في زمان بدأ فيه تدوين الشعر، والتأليف في النحو، وأن بعضه أقوال مأثورة عن نحويين معروفين، معروفة مذاهبهم، فحكمه، من حيث الصحة، كحكم ما يُسنَد إليهم من الآراء

١- السابق، ٢٥٨/٣ وما بعدها.
٢- الموشح، ٢٥٢.
٣- الأغاني، ١٢٥/١. ووَدَّان قرية ساحلية على الطريق القديم بين مكة والمدينة، وتبعد عن المدينة نحوا من ٢٤٠كم، وتعرف اليوم بمستورة، أو هي قرية قريبة منها.
٤- السابق، ١٠٩/١٥.
٥- الموشح، ٢١٠.

النحوية. ومن أمثلته ما ينسب إلى عيسى بن عمر من أنه خطَّأ النابغة الذبياني في قوله:

فبتُّ كأني ساورتْني ضئيلةٌ
من الرُّقْشِ في أنيابها السُّمُّ ناقِعُ

فقال إن صوابه: "السم ناقعاً"[١]، على الحال، وكما خطَّأ ابن أبي إسحاق الفرزدق في قوله:

على عمائمِنا يُلقى وأرْحُلِنا
على زواحفَ تُزجَى مخُّها ريرِ

فجرَّ الخبرَ (ريرِ)، وحقه أن يُرفع، وخطَّأه في قوله:

فلو أن عبدَ اللهِ مولَى هجوتُه
ولكنَّ عبدَ الله مولى مَوالِيَا[٢]

وهي مآخذ لا تتجاوز التنبيه على الخطأ، على هذا النحو، ولا علاقة لها – على أهميتها – بالنواحي الجمالية من الشعر. وقد كان استنباط قواعد النحو، وما صاحبه، من وضع الأصول، ومدِّ القياس، داعيا إلى توقُّع أن ينتقل النقد نُقلة جديدة، تلائم نقلة النحو؛ فإن ذلك نذير بأن العقل قد نحا منحى العلم والنظر، وخرج من طور الحفظ والرواية والذوق الفطري إلى الدراسة، وتلمُّس العلل الجامعة بين الأشياء المتباينة في ظاهرها، المتفقة في ماهيتها، أو أسبابها، وهو تحوُّل فكري، أقلُّ ما يُتوقَّع أن يتبعه في جانب النقد شيء غير هذا الذي ينسب إلى أهل العصرين الإسلامي والأموي. غير أن من الحق أن هذا التحول لم يجاوز فئة قليلة من العرب، هي تلك التي عُنيت بالنحو، أما سائرهم، فظلوا على ما كانوا عليه، فأهل البوادي لم يختلفوا في شيء عن أعراب الجاهلية، من حيث التفكير، وقلة العلم، ولم يختلف كبار شعرائهم عما كان عليه سلفهم، من حيث الطبع، وقلة التخير، وما يستتبع ذلك من تشريد الألفاظ[٣]، وكثرة الاختلال، وعدم التفطن إلى ما قد يقعون فيه من اللحن الجلي، كما يُرى في لحن الفرزدق. أما أهل الحاضرة، غيرَ أهل البصرة، فلم يجدَّ في ثقافتهم تغيُّر كبير، سوى المعرفة الشرعية التي كان بعضها أقرب إلى الحفظ منه إلى التفكير والنظر، وهي معرفة ليس فيها ما يمس الأدب. وحسبنا دليلا على صحة هذا الرأي أن ملوك بني أمية في الشام، وكانوا، غير الوليد بن عبد الملك، متعلمين، ليس فيهم من نُسب إليه ما يدل على تغير في الذوق والتفكير، والبصر بالشعر، على ما كانوا فيه من الدعة والاستقرار، وإنما ظلوا وظلت دولتهم "عربية أعرابية، وفي أجناد شامية،... وجرت (العرب في عهدهم) من ذلك في إسلامها على مثل عاداتها في جاهليتها"[٤]. ولا تختلف الأخبار التي نسبت إليهم عما قد رأينا من الأخبار التي نسبت إلى غيرهم، مع أننا لا نثق بها كما لا نثق بتلك، وهذا دليل على أن الرواة لم يعرفوا عنهم ما يميزهم من سائر العرب في عصرهم؛ فوضعوا عليهم من الأخبار ما وضعوا على غيرهم، فالأخبار المنسوبة إلى عبد الملك بن مروان – مثلا –، وكان من كبار فقهاء الحجاز، حتى ليعد في طبقة عبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير، لا تتجاوز استحسان تعبير، واستهجان آخر، والسؤالَ عن أشعر الشعراء، أو أجودِ ما قيل في غرض من الأغراض، أو معنى من المعاني. وتفكيره النقدي – كما يبدو من هذه الأخبار – لا يختلف عن تفكير بعض معاصريه من أهل البادية، فقد استحسن – مثلا –، قول جرير:

١– انظر: طبقات فحول الشعراء، ١٦/١، وطبقات النحويين واللغويين، ٤١.
٢– انظر: طبقات فحول الشعراء، ١٨/١، طبقات النحويين واللغويين، ٣٢.
٣– الموشح، ١٧١.
٤– البيان والتبيين، ٣٦٦/٣.

ألســـتم خيرَ مَنْ ركِـبَ المطـايـا
.:.
وأنـدى الـعـالـمـيـنَ بـطـونَ راحِ؟

حتى أعطاه مائة لِقْحَة برعاتها، وصُـــحْفةً من الذهب، فيما تزعم الأخبار[١]، ولكنه لم يُبِنْ عن وجه استحسانه له، كما يدعي خبر آخر أن جريرا استحسن بيت عدي بن الرقاع:

تُـزْجـي أغَـنَّ كـأن إبـرةَ رَوْقـه
.:.
قلمٌ أصـــاب من الـدواة مـدادَهـا

فرحمه لما سمع صدره، ثم رحم نفسه منه لما أنشد عجزه[٢]، ولم يبيِّن وجه الحسن فيه.

ولم يُرْوَ عن نحاة البصـــرة الأولين، غيرَ تنبيهاتهم النحوية واللغوية، ما يدل على بصر بالشعر ونقده، بل لم يُرْوَ عنهم ما رُوِيَ عن أهل زمانهم من الأخبار، بغض النظر عن صحتها، إلا ما قال يونس بن حبيب، من أن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي كان يرى أن مرقشـــا أشـــعر أهل الجاهلية، وكثيِّرًا أشـــعر أهل الإسلام[٣]، وهو رأي كان يونس يتعجب منه، وقال إنه لم يُقبل ولم يُشيَّع[٤]. وهو تعجب في محله، فليس لمرقش شعر يُعتدُّ به، إن فُرِض أن ما ينسب إليه في الباقي من كتب الأدب ليس بمنحول، فكيف يجعل به أشعر أهل الجاهلية؟ وإذا صح هذا القول عن ابن أبي إسحاق كان دليلا على بُعْد ما بين النحويين الأولين ونقد الشـــعر، كما يدل على بعْد ما بين العرب، في ذلك الزمان، وبينه. وهذا مما يؤكد الشـــك في الأخبار التي رأينا من أمرها ما قد رأينا، فإن الذي هو أولى بالنقد إذا لم يكن له علم به، ولم يؤثَر عنه شـــيء فيه ذو بال، وأُثِر عمن هو دونه، كان ذلك داعيا للشـك؛ لأنه قلب للمنطق.

وقد كان هؤلاء النحويون أجدر أهل زمانهم بأن يكون لهم في نقد الشعر والبصر به ما لم يكن لغيرهم، لكثرة ما يروون منه، لو كانت ســـعة الرواية وحدها تغني في نقـد الشـــعر، ولمعرفتهم بلغتـه، ومعرفتهم من المنهج العلمي ما لم يعرف معاصـــروهم؛ وجمْعِهم إلى ذلك السليقةَ اللغوية التي لا يختلفون فيها عن معاصريهم من العرب الخلص، لكونهم إما عربا صـــليبة، وإما عربا بالنشـــأة والثقافة. وهم في هذا يختلفون عن النحاة المتأخرين الذين كانت معرفة بعضهم لا تتجاوز القواعد المجردة التي لا تستوجب سليقة ولا ذوقا، ولا بصـــرا بالأدب، ولا رواية للشعر. صحيح أن للنقد شأنا غير شأن اللغة، فهو مزيج من الخبرة، والموهبة، والمشاعر التي يثيرها النص، يصعب وصفها، أو معرفة سببها بدقة، أحيانا، كما يصعب استنباط معايير موضوعية منها، وفيها ما لا يمكن تعليله، ولا معرفة حقيقته، والنحو حقائق موضـــوعية، مثل الظواهر الطبيعية، لا علاقة لها بالمشـــاعر. ففي وســـع المرء أن يدرك حقائق النحو، ويدرك عللها، من غير أن يكون له بصر بالشعر، ولا اقتدار على نقده وتذوقه، كما أن إدراك حقائق الطبيعة، وعللها والعلاقات بينها لا تستوجب شيئا من ذلك.

أما نحويو العصـــر الأموي الذين أدركوا العصـــر العباســـي، فلبعضـــهم أقاويل قليلة في المفاضـــلة بين الشعراء، وفيما عرضوا له من المعاني والأغراض، والمقارنة بين مذاهبهم، نقتصـــر منها على ما ذكر ابن ســـلام؛ لأننا لا نثق بما روى غيره، وإن كنا لا نســـلِّم بكل ما

١- انظر: الشعر والشعراء، ٤٦٠/١، والأغاني، ٦٣/٧.
٢- الأغاني، ١٧٦/٨ وما بعدها.
٣- طبقات فحول الشعراء، ٥٢/١، و٥٤٠.
٤- السابق، ٥٢/١، و٥٤٠.

روى؛ فإن بعض مَن نَسب إليهم هذه الأقوال كانوا من معاصريه، وهم – إلى ذلك – مثله، من أهل البصرة. وإذا كان في كتابه ما يطمأن إليه، فمنه هذه الأقوال، كقول أبي عمرو بن العلاء في الأعشى: "مَثَله مثَل البازي، يضرب كبير الطير وصغيره... نظيره في الإسلام جرير، ونظير النابغة الأخطل، ونظير زهير الفرزدق"[١]، وقوله في خداش بن زهير: "هو أشعر في قريحة الشعر من لبيد، وأبى الناسُ إلا تقدمة لبيد"[٢]، وقوله في المقارنة بين أبي النجم العجلي والعجاج: "كان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج"[٣]، وقول يونس بن حبيب: "كان عبد الله[٤] بن قيس الرقيات أشد قريش أسْرَ شعر بعد ابن الزبعرى"[٥]، وقوله: "الشعر كالسَّراء والشجاعة والجمال: لا يُنتَهى منه إلى غاية"[٦].

فهذه الأقوال بسيطة، بيد أن بعضها يبين عن روح جديد، ونظر إلى جوانب من الشعر، لم يكد شيء من تلك الأخبار يحوم حولها، كما تتسم بفقه، نظن أنه لم يكن متاحا في حياة العرب قبل أواخر العصر الأموي، يظهر في الوصف الموضوعي، والبصرِ، شيئا، بجوانب من حقيقة الشعر، ككون المقارنة فيه لا تنتهي إلى حكم دقيق؛ لأن مردها إلى الذوق، وكالتنبه إلى الفرق بين الطبع والتكلف، ومزايا الطبع على الشعر، وإن كان في ذلك غموض، سببه اعتساف الطريق، وقلة الزاد من المصطلح، فقد أراد أبو عمرو أن خداشا أمكن من لبيد في الشعر وأطبع، وإن قدَّم الناس لبيدا، فكان في عبارته من الغموض ما ليس يخفى. ونسب إليه المرزباني عبارة أخرى، عبَّر فيها عن غرابة شعر لبيد وما فيه من الوحشي، قد تكون أبين من تلك: "ولكن شعره رحى بَزْر"[٧]، وعبر الأصمعي عن معنى هذين القولين بعبارة كأنها مستوحاة منهما، إلا أنها أوضح منهما: "شعر لبيد كأنه طيلسان طبري"[٨]، "يعني أنه جيد الصنعة، وليست له حلاوة"[٩]. فالذي فضَّل به أبو عمرو خداشا على لبيد هو الحلاوة المتأتية من الطبع وقلة التكلف ومجافاة ما كان لبيد يركب من الغريب. والحلاوة التي ذكر الأصمعي هي التي سماها ابن قتيبة: "رونق الطبع، ووشي الغريزة"[١٠]. وما فطن إليه أبو عمرو يدل على تنبه إلى قضية مهمة من قضايا الفن، ينبئ بفكر جديد.

وقد ظهر في بعض هذه الأقوال تلفُّت إلى خصائص الشعراء الأسلوبية، ممثلا في "قوة الأسْر"، وبعض معايير الفحولة التي اعتمد الرواة في القرن الثالث، كالأصمعي وابن سلام، كتعدد الأغراض، والإجادة، كما بدا من قول أبي عمرو في الأعشى، الذي توسع فيه من تلاه ممن فضلوه على طبقته، حين قالوا إنه: "أكثرهم عروضا، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم مدحا، وهجاء، وفخرا، ووصفا"[١١]، فجمعوا له معايير الفحولة الثلاثة: الإجادة، وتنوع الأغراض، والإغزار. ولا جرم أن مرد هذا كله إلى تقدم العلم، ورقي العقل، فهو الذي لفت

١- طبقات فحول الشعراء، ٦٦/١.
٢- السابق، ١٤٤/١.
٣- السابق، ٧٥٣/٢.
٤- كذا ورد في الكتاب، وصوابه: عبيد الله.
٥- السابق، ٦٤٨/٢.
٦- السابق، ٦٦/١.
٧- الموشح، ٨٩.
٨- الموضع نفسه.
٩- الموضع نفسه.
١٠- الشعر والشعراء، ٩١/١.
١١- طبقات فحول الشعراء، ٢٤٥/١.

العقول إلى ما لم يكن العرب الأولون ليلتفتوا إليه، لتباين الحالين.

وصاحبا هذه الأقوال (أبو عمرو، ويونس، ت١٨٢هـ)[١] من مخضرمي الدولتين، غير أننا ما ندري في أيهما كانت هذه الأقوال، إلا أن ما ينسب إلى أبي عمرو – خاصة – ربما كان في العصر الأموي؛ لأن المدة التي عاشها فيه أطول من التي عاش في العصر العباسي، وتوفي ولم يجدَّ في العصر العباسي تغير كبير، يمكن أن يُجِدَّ له فكرا ونظرا غير فكره ونظره في العصر الأموي.

على أننا لو تناسينا ما بسطنا من الحجج على كون ما تقدم من الأخبار مصنوع، وفرضنا صحتها بدلا من ذلك، ونظرنا فيها نظر المقوِّم، لم نجد فيها ما يمكن عده نقدا، أو بدايات للنقد, أو ما يمكن أن يستخرج من مجموعه سمات تدل على تطور في فهم الأدب وتذوقه ونقده، يلائم نُقلة العرب الحضارية والعلمية، ويختلف عما يتوقع أن يكون عليه حال النقد في الجاهلية، فإن ما اشتملت عليه لا يزيد على أحكام مجملة، غير معللة في الغالب، مثلُها "لا يُحصَل منه على تحقيق"[٢]، تلقى على هذا الوجه من التعميم، ولا تتجاوز تفضيل شاعر على آخر، أو تعبيرٍ على تعبير، وبيانَ خطأ شاعر في معنى رام التعبير عنه، فجاء على غير ما ينبغي أن يكون، من غير تعليل ولا تدليل، ومفاضلةً بين الشعراء لا تستبين حيثيات أكثرها، مما نتوقع ألا يعجز عنه امرؤ يفقه لغته، مهما بلغ من الجهل والإغراق في البداوة؛ لأن هذا ونحوه من مقتضيات النباهة والسليقة اللغوية.

١- السابق، ٦٥/١.

٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٣٧٦/٢.

المراجع

١. أحاديث الشعر، أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق خير الدين الشريف. ط١، د.م، ١٤١٣هـ.

٢. أخبار أبي تمام، أبو بكر محمد الصولي، تحقيق خليل محمود عساكر وآخرين، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٣. أشعار الشعراء الستة الجاهليين، الأعلم يوسف بن سليمان الشنتمري، ط٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

٥. الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، ط. الساسي، د.ت.

٦. الأمالي في لغة العرب، هل كان للجاهلية، القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٢٤هـ. قد أدبي؟".

٧. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط٥، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٨. البيان والتبيين، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني تحقيق عبد السلام هارون، ط٥، القاهرة،

مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٩. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ٥٠/١٤.

١٠. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عبد العزيز عتيق، ط٤، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم، بيروت، دار الحكمة، ١٩٣٧م.

١٢. الثقات، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي،تحقيق عبد العليم البستوي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ٣٣٧/٢.

١٣. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتُّوح الحميدي، تحقيق علي البواب، ط٢، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٤. جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٥. جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، بيروت، دار بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٦. حديث الأربعاء، طه حسين، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤م.

١٧. الحقيقة والخيال في الغزل العذري والغزل الصريح، مختار الغوث، ط١، جدة، دار كنوز المعرفة، ١٤٣١هـ.

١٨. حوليات الجامعة التونسية، العدد ٥٥، السنة ٢٠١٠م. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري.

١٩. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت.

٢٠. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، ط٣، القاهرة، مطبعة المدني، وجدة، دار المدني، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢١. ديوان الحطيئة، محمد بن حبيب، بيروت، دار صادر، د.ت.

٢٢. ديوان الحطيئة، يعقوب بن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٣. ديوان عمر بن أبي ربيعة بيروت، دار صادر، د.ت.

٢٤. ديوان النابغة الذبياني، يعقوب بن السكيت، ط٢، تحقيق شكري فيصل، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٥. ذو الرمة شاعر الحب والصحراء، يوسف خليف، القاهرة، مكتبة غريب، د.ت.

٢٦. الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط

شعره، الحاتمي ضمن المكتبة الشاملة الإلكترونية.

٢٧. سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، أبو حاتم السجستاني، تحقيق محمد عودة أبو جرى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٨. سكينة بنت الحسين، عائشة بنت عبد الرحمن، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

٢٩. شرح ديوان النابغة الذبياني، محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، والجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٦م.

٣٠. شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ثعلب أحمد بن يحيى، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣١. شرح المعلقات السبع، بيروت، دار صادر، د.ت.

٣٢. الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى، مختار الغوث، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط١، ١٤٢٧هـ.

٣٣. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م.

٣٤. الشعرية العربية، جمال الدين ابن الشيخ، ترجمة مبارك حنون وآخرين، ط٢، الدار البيضاء، دار توبقال، ٢٠٠٨م.

٣٥. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد تامر، ط١، القاهرة، مؤسسة المختار، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣٦. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، ضمن المكتبة الشاملة الإلكترونية.

٣٧. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٣٨. طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

٣٩. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، د. م، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م.

٤٠. غريب الحديث، أبو سليمان حمْد بن محمد بن إبراهيم الخطابي تحقيق عبد الكريم العزباوي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ.

٤١. الفهرست، محمد بن إسحاق بن النديم ط، دار المعرفة، د.ت.

٤٢. قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، محمود شاكر، ط١، جدة، دار المدني، والقاهرة، مطبعة المدني، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٣. غريب الحديث، ابن قتيبة، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٧م.

٤٤. الفاضل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، د.م، ١٩٥٥م.

٤٥. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة،

شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المكتبة الشاملة الإلكترونية.

٤٦. كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري، تحقيق مفيد قميحة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الشيباني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٥م.

٤٨. مراتب النحويين، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٤٩. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد، ط٦، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.

٥٠. معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي تحقيق إحسان عباس، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.

٥١. المفضليات، المفضل بن محمد الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط٦، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

٥٢. مقالات في النقد الأدبي، محمد مصطفى هدارة، ط١، الرياض، دار العلوم، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، بيروت، دار الفكر، د.ت.

٥٣. الموشح، المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الفكر العربي، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٥٤. الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي، مالك بن أنس، ط١، بيروت، دار النفائس، ١٣٩٧-١٩٧٧م.

٥٥. النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.

Literary Criticism in the First Islamic Era and the Umayyad Period Critical Study of Works and Adages

M. Alghoth

Department of Arabic language– Faculty of Arts - Taiba University - K.S.A.

Abstract

This research discusses the critical works attributed to the first Islamic era and the Umayyad period. The research concludes that these works were fabricated and made up in the Abbasid period in support of the view of people who made them up. Also, the research pointed out the signs of these fabrications such as the weakness of the narrators, and the admission of the authors who made them up. Among these signs were the fact that these works discussed issues that were not known before the Abbasid period in addition to the contradiction, stereotypical patterns , and similarities of the topics. An exception to that was what has been narrated that some grammarians composed some lyrics of some poets in addition to some sayings of the people of the second Hijri century. Some of these sayings may have been said in the Umayyad period. The research also showed that even if these narrations were true, there was nothing in them indicating a state of literary criticism or a development of what is expected to be a literary criticism in the pre-Islamic period. Most of these works were nothing but a comparison of some meanings agreed upon by the poets or a kind of judgment who was the best poet in that time.

Keywords: Literary criticism, Critical works, bbasid period, first Islamic era, Umayyad period.